

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة السابعة والخمسون

علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (حياة الشباب في صدر الإسلام) ، وما زال الحديث موصولاً عن حياته علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) .

بعد أن ذكرنا في حلقات ماضية جوانب كثيرة من حياة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يحسن أن نذكر شيئاً مما روي عنه من الحكم الجميلة والأقوال البليغة ، منها :

قوله : جمال الخلق أبهى من جمال الخلق

إن جمال الخلق نعمة من الله سبحانه وتعالى يجعلها في الإنسان ، وهو أمر لا يمكن اكتسابه لمن فقدته ، فالإنسان يستطيع أن يغير في خلقه وطبعه ، ولكن لا يستطيع أن يغير في صورته وخلقته ، وعلى هذا الأساس فإن النقص في جمال الأشكال يعوضه جمال الخصال ، بل إن جمال الخلق أنفع لصاحبه في دنياه وآخره .

والشباب بخاصة الذين الذين افتخروا بأشكالهم وشخصياتهم بحاجة إلى هذا التوجيه ، وفي هذا المعنى يقول المتنبي^(١) :

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلائق^(٢)

(١) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، الشاعر الحكيم ، وأحد مفاخر الأدب العربي ، وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ ، وتوفي سنة ٣٥٤ . (الزركلي ، الأعلام ١ / ١١٥) .

(٢) ديوان المتنبي ص ٣٩٤ .

ويقول دعبل^(٣) :

وما حسن الجسوم لهم بزین إذا كانت خلأئقهم قبأحاً^(٤)

وقوله : بشاشة الوجه عطية ثانية

الإحسان إلى الناس بالعطاء في وجوه الخير من حسن الخلق ، الذي يُندب المسلم إليه ويؤجر عليه ، ومن تمام هذا الإحسان إلى الناس في جانب العطاء بذله بسخاء وبطيب قلب ، ومن تمام العطاء بذله ببشاشة ، فإن بشاشة الوجه عند العطاء لا تكلف الإنسان شيئاً ، ولها الأثر الكبير في نفسية المعطى ، وما يترتب عليها من زيادة الأجر على هذا العطاء . وفيها البعد عن المن في العطية الذي يطل أجرها ، كما قال الله سبحانه وتعالى { يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى }^(٥) .

كما يبين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) جانباً آخر من جوانب كمال الجود والعطاء ، ألا وهو الاعتذار ، حيث يقول : « كمال الجود : الاعتذار معه »^(٦) . فكما أن البشاشة مع العطاء لها تأثير كبير على المعطى ، فإن كلمات الاعتذار مع الجود والعطاء تشعر المعطى بمزيد من الكرم من صاحب العطاء ، كما توحى بالتواضع مع العطاء .

وقوله : العفو عند المقدرة شكر للمقدرة

لاشك أن العفو من محاسن الأخلاق في الإنسان ، ولكن هذا الخلق يكون أجمل وأكمل عند مقدرة الإنسان على الانتقام ، والظفر بالخصم والقدرة عليه نعمة تحتاج إلى شكر ، لذا فقد بين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن من شكر هذه النعمة العفو عن

(٢) دعبل بن علي الخزاعي ، أصله من الكوفة ، وقيل من قرقيسيا ، وكان أكثر مقامه في بغداد ، وسافر إلى كثير من البلاد ، كان هجاءً خبيث اللسان ، وكان من مشاهير الشيعة ، مات سنة ٢٤٦ هـ . (ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ١١ / ٩٩ - ١١٢) .

(٣) ديوان دعبل بن علي الخزاعي ، جمع وتحقيق : د . محمد يوسف نجم ، ص ٥٤ .

(٤) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٦٤ .

(٥) نثر اللآلي ، من كلام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (مخطوط) ورقة ٥٤ ، وجه ٢ .

الخصم ، كما يقول في ذلك : « إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للمقدرة عليه »^(٧) .

وفي هذا الشأن يقول علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : « كفى بالظفر شفيحاً للمذنب »^(٨) . فإن العفو عن المذنب عند الظفر به من جمال السيرة وحسن السريرة .

ويقيد العفو فيمن ينفعه العفو ويصلحه ، كما يقول في ذلك : « العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم »^(٩) .

وقوله : أحسن إلى المسيء تسده

يضع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قاعدة للتعامل مع المسيء بقوله : « أحسن إلى المسيء تسده »^(١٠) قاعدة في حسن الخلق خاصة بالتعامل مع المسيء ، وهي عدم مقابلة السيئة بالسيئة ، ولكن مقابلة السيئة بالحسنة ، مما يترتب عليه سيادة هذا المسيء واحتواء الإساءة . فعلى الإنسان . والشاب على الأخص . أن يقابل الهياج بالهدوء ، والتبجح بالحياء ، والكلمة الطائشة بالكلمة الطيبة ، والنبرة الصاخبة بالنبرة الهادئة ، والجبين المقطب بالبسمة الحانية . ولو قوبل المسيء بمثل فعله ازداد هياجاً وغضباً ، وتبجحاً ومروداً ، وخلع حيائه نهائياً ، وأفلت زمامه ، وأخذته العزة بالإثم .

ومقابلة السيئة بالحسنة مما وجه الله سبحانه وتعالى به عباده في كتابه الكريم كما في قوله سبحانه { و لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم }^(١١) . قال ابن كثير (رحمه الله تعالى) : أي من أساء إليك فادفعه

(٧) محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري ، مطلوب كل طالب من كلمات علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (مخطوط) ورقة ١٣٦ ، وجه ٢ . ونثر اللآلئ من كلمات علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (مخطوط) ورقة ٥٠ ، وجه ٢ . والثعالبي ، الإعجاز والإيجاز ص ٣٠ .

(٨) محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري ، مطلوب كل طالب من كلمات علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (مخطوط) ورقة ١٢١ ، وجه ١ .

(٩) ابن أبي الحديد ، شرح نفع البلاغة ٢٠ / ٢٧٠ . وعلي الجندي ورفقاؤه ، سجع الحمام في حكم الإمام علي (رضي الله عنه) ص ٢٤٤ .

(١٠) نثر اللآلئ من كلام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (مخطوط) ورقة ٤٥ ، وجه ١ .

(١١) سورة فصلت ، جزء من الآية ٣٤ .

عنك بالإحسان إليه ، كما قال عمر (رضي الله عنه) : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ^(١٢).

ويقول علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : « الإحسان يقطع اللسان » ^(١٣) . فمن أحسن إلى الناس فقد ملك أفئدتهم بحبه وولائه ، وقطع ألسنتهم عن سبه وهجائه .

ولكن الإحسان إلى المسيء لا يصلح في كل الأحوال ومع جميع أصناف الناس، فإن من الناس من لا يزيده الإحسان إلا غروراً وتمادياً في إساءته ، فهذا الصنف من الناس لا بد له من عقاب يردعه .

وقوله : من طلب ما لايعنيه فاته ما يعنيه

يبين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قاعدة في حسن الخلق بقوله : « من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه » ^(١٤) وذلك يعني أن الإنسان إذا اشتغل بأمور لا تعنيه كإشغال نفسه بالحديث عن أحوال الناس وصفاتهم ، مما لا حاجة له فيه ، فإن ذلك يكون على حساب مصلحته ووقته ، فإنه يفوت عليه الحديث بأمر يهمه وينفعه ، ويضيع عليه الوقت لأمر يخصه ويرفعه .

ولقد أرشد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بترك الإنسان ما لا يعنيه كما في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه » ^(١٥).

(١٢) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠٢ .

(١٣) محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري ، مطلوب كل طالب من شرح كلمات علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (مخطوط) ورقة ١٣٠ ، وجه ٢ .

(١٤) محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري ، مطلوب كل طالب من كلمات علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (مخطوط) ورقة ١١٨ ، وجه ١ . والتعالي ، الإعجاز والإيجاز ص ٢٩ . و علي الجندي ورفاقه ، سجع الحمام من حكم الإمام علي (رضي الله عنه) ص ٤٠٧ .

(١٥) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الزهد ٤ / ٥٥٨ . وابن ماجه في سننه ، كتاب الفتن ٢ / ١٣١٦ . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢ / ٢٦٩ .

وقوله : صاحب الأخيار تأمن الأشرار

إن الإنسان بطبعه خلق ليعيش مع غيره من الناس ، ويتخذ منهم الأصحاب والأصدقاء ، ولكن الناس يتفاوتون في أحوالهم ، فمنهم الأخيار ، ومنهم الأشرار ، فمن صحب الأخيار سعد وغنم ، ومن صحب الأشرار شقي وندم ، وإن شر الأشرار لا يُسَلَّمُ منه إلا بصحبة الأخيار .

وقال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) مرغباً في المجلس الصالح: «جلس الخير غيمة»^(١٦)، وقال محذراً من صحبة الأحمق: «صحبة الأحمق نقصان في الدنيا ، وحسرة في الآخرة»^(١٧) .

فإلى الشباب أقول : أخي الشاب فكر في أصحابك وأنت أعلم بهم من غيرك ، فلا تصحب من إذا صحبته اليوم ندمت على صحبته غداً .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١٦) نثر اللآلئ من كلام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (مخطوط) ورقة ٥١ ، وجه ٢ .

(١٧) المرجع السابق ورقة ٥٣ ، وجه ١ .